الشرق الأوسط
ASHARQ AL-AWSAT
جريدة العرب الدولية
الجمعة ١٨ جمادى الاولى ١٤٢٩ هـ ٢٣ مايو ٢٠٠٨ العدد ١٠٧٦٩

لقطات أمريكية وإسرائيلية وشخصية



أحمد ماهر

أولاً: كنا نعرف أن السبب الرئيسي لزيارة الرئيس بوش للمنطقة في هذا الوقت بالذات هو المشاركة في الاحتفال بذكرى إنشاء دولة إسرائيل المغتصبة، ولكننا لم نكن نتصور أن ذلك الرئيس الذي يدعي أنه يبذل جهوداً لتحقيق السلام في الشرق الأوسط على أساس قيام دولة فلسطينية مستقلة لتعيش في سلام مع إسرائيل، سوف ينتهز فرصة الزيارة لكي يتخلى عن قناع الموضوعية التي تظاهر في الأشهر الأخيرة بأنه سوف يلتزم بها، ويظهر انحيازاً للدولة المعتدية يصل إلى درجة تكاد تكون غير مسبوقة منه، أو من غيره بحيث يستحق لقب «الصهيوني الأول» الذي أطلقته عليه صحف إسرائيلية. ولعل كل من اطلع على خطاب بوش أمام الكنيست لم يستطع أن يمنع نفسه من الشعور بالغضب الممزوج بالدهشة والاستنكار، أن يصل رئيس الدولة الأعظم إلى هذا الدرك من الفكر السقيم أو النفاق البغيض وفق ما إذا كنا نسيء الظن به، وهو أقرب إلى المنطق استناداً إلى كل تصرفاته، أو كنا نحسن الظن به وهو مالا يكون قطعاً في محله، قياساً على السياسات التي قاد إليها الولايات المتحدة. وقد أسبغ بوش في خطابه على إسرائيل صفات منها أنها أعظم ديمقراطية في المنطقة، بالإضافة إلى ألوان أخرى من المديح غير المبرر ولا المستحق الذي يهمني أن أقابله بما ورد في مقال نشره مؤخراً دانييل بارنباوم، قائد الأوركسترا اليهودي الإسرائيلي الذي شكل مع المرحوم إدوارد سعيد فرقه موسيقية مشتركة فلسطينية إسرائيلية تعبيراً عن الرغبة في إقامة سلام دائم وعادل يتجاوز الظلم الذي حاق بالشعب الفلسطيني ليحقق تعايشاً اعتقد الرجلان النبيلان أنه ممكن بقدر ما هو مطلوب. ذكر بارنباوم في مقاله الذي نشرته الهيرالد تريبيون في ١٤ مايو ٢٠٠٨ عشية احتفال بوش مع أصدقائه الإسرائيليين بذكرى الاغتصاب والنكبة: «إن الصهيونية ما زالت تستند إلى أكذوبة أن الأرض التي استعمرها الإسرائيليون كانت خالية. وما زال الكثير من الإسرائيليين غير قادرين على أن يتصوروا معنى أن تكون فلسطينياً وأن تعيش في مدينة مثل نابلس التي أصبحت سجنا لـــ ١٨٠ ألف شخص». وأضاف أنه «لا يتحدث عن العدل أو الحب ولكنه يتساءل أين ذهبت القدرة الذهنية والفكرية اليهودية الشهيرة، ولماذا يتم الاستمرار في تغذية الكراهية في قطاع غزة».

وذكر بارنباوم «أنه لن يكون هناك أبداً حل عسكري، ومهما بلغت قوة إسرائيل سوف يكون هناك خوف وانعدام للأمن على أرض يتنازعها شعبان، لأن النزاع سمح له أن يتغذى على نفسه وعلى الروح اليهودية». وأضاف «لقد أردنا أن نمتلك أرضاً لم تكن قط ملكنا، وشيدنا عليها مستوطنات مما يراه الفلسطينيون وبحق استفزازاً امبريالياً. إن مقاومتهم أمر مفهوم تماماً ولا أعني بذلك الأساليب التي يستخدمونها أو العنف أو التصرفات غير الإنسانية، ولكني أعني رفضهم لهذا الوضع. ويجب على الإسرائيليين أن يجدوا أخيراً الشجاعة لكي لا يردوا على ذلك العنف وأن يتمسكوا بتاريخهم: إن الإسرائيليين يتحدثون اليوم عن الانفصال وعن الطلاق مع أن الطلاق لا يكون ممكناً إلا بين أشخاص سبق أن أحبوا بعضهم بعضا. إنني أكاد أجن عندما أرى الظلم الذي يرتكبه اليهود يومياً، مما يهدد الوجود المستقبلي لإسرائيل. وعلينا أن نجد وسيلة للتعايش، وإلا فسوف نستمر في التقاتل»، ثم ذكر: «إنني متشائم بالنسبة للشرق الأوسط على المدى القصير ولكني متفائل على المدى الطويل».

انتهى الاقتباس من مقال دانييل بارنباوم، فأين هذا من خطاب الرئيس بوش أمام الكنيست الذي تجاهل كل تلك الحقائق التي يقر بها اليهود الشرفاء أنفسهم، وانجرف إلى مديح تجاهل فيه كل ما يصيب الفلسطينيين يومياً من ظلم وعدوان على يد من صورهم على أنهم ملائكة يتحلون بكل الفضائل.

وعندما ترك بوش إسرائيل وجاء إلى شرم الشيخ ليحضر منتدى دافوس، ألمح المقربون منه أو أبواقه أنه بعد أن شعر بالأثر السيئ لخطاب الكنيست سوف يعمل في خطابه أمام المنتدى على معالجة ما حدث، بل إن السيد وزير خارجية مصر صرح بأن الرئيس الأمريكي عندما روجع فيما قال من أباطيل وأراجيف ــ قال :«انتظروا خطابي».

ويبدو أن مبارك أدرك بحسه أو بمعلومات تلقاها أن خطاب بوش الذي تلا خطابه لن يكون إلا تكراراً لكلام سخيف بعيد عن الحقيقة فلم يحضر إلقاءه. وبالفعل جاء الخطاب الأمريكي محاولة لإعطاء دروس في الديمقراطية والإصلاح، والحرية، ضارباً المثل بالعراق وأفغانستان حيث نشرت قواته الدمار والفتنة. ولم يكتف بذلك، بل استمر في كيل المديح لإسرائيل، ومهاجمة من يقاومون احتلالها المقيت، جاعلاً من استمرار وجودها ستين عاماً أخرى المعيار الذي يقيس به أحوال الدول الأخرى حينئذ.

مقالات سابقة للكاتب
- لبنان: الشوك والألم وربما الأمل
- من وحي حديث كوندوليزا رايس
- ألغاز المواقف الغربية والأمريكية
- نظرات إلينا وإليهم
- معاً من أجلنا جميعاً
- من كل بستان زهرة أو شوكة
- مزيد من الحديث عن أحوال العرب
- عجائب وغرائب
- أحاديث.. في انتظار القمة
- حديث القمة

إبحث في مقالات الكتاب

ولا شك أن كثيراً من القراء قد اطلعوا على ذلك الخطاب. وشتان بين حديث الإفك الذي امتلأ به خطاب الرئيس بوش، والخطاب الهادئ العميق الذي ألقاه الرئيس حسني مبارك وتعرض فيه بصراحة ووضوح للمشاكل التي تواجهها الإنسانية من جراء تصرفات الدول الكبرى التي تحرق غذاء الشعوب لتستخرج منه وقوداً تستعيض به عن البترول، والذي أدت تصرفاتها إلى ارتفاع استعاره بشكل غير مسبوق، والذي تريد بأساليب مختلفة أن تحرم أصحابه من جني ثمار هذا الارتفاع، بينما تعرض بقية الإنسانية لمخاطر المجاعة والعوز.

وتحدث الرئيس مبارك أيضاً عن حركة الإصلاح وبناء الديمقراطية التي تجري في مصر، والتي مهما كانت تحفظات البعض عليها، فإنها حققت قدراً كبيراً من حرية التعبير ـــ رغم بعض العقبات التي نرجو أن تزول ـــ وفتحت الباب أمام حراك سياسي يسير في الاتجاه الصحيح رغم قيود هي بالضرورة مؤقتة، وأخطاء مآلها إلى أن تصحح ما دمنا وجدنا الطريق المنشود.

ولعلي أضيف أن خطاب الرئيس مبارك أمام منتدى دافوس كان من أهم وأعمق خطاباته، وأنه أبرز بعمقه ضحالة الفكر الذي عكسه خطاب الرئيس بوش الذي لا أشك في أن من كتبوه له ربما كانوا من المتآمرين عليه وعلى صورة الولايات المتحدة التي أهالوا عليها مزيداً من الطين والطوب، وزادوا مشاعر الكراهية حتى لدى من كانوا وما زالوا يحسنون أو يريدون أن يحسنوا الظن باحتمال تغيير إيجابي تتفق فيه الأفعال والأقوال، مع ادعاءات صدعوا رؤوسنا بها عن الحرية والديمقراطية والعدل والسلام.

ثانياً: وما دمنا نتحدث عن السياسات الأمريكية، فإني أود أن أنقل ما رأى ناثان براون، وهو خبير أمريكي في شؤون الشرق الأوسط بجامعة جورج واشنطن أن يوجهه من نصائح للإدارة الأمريكية القادمة:

ـــ العدول عن محاولة إعاقة اتفاق على تقاسم السلطة بين فتح وحماس.

ـــ العمل على تحقيق وقف إطلاق نار واقعي بين حماس وإسرائيل عن طريق دعم الجهود المصرية.

ـــ إجراء اتصالات مباشرة مع حماس عن طريق الرئيس أبو مازن (ويعلق الخبير هنا بأن تقدير تكلفة وثمار اتصال مباشر مع حماس مبالغ فيه إلى درجة كبيرة).

ـــ تشجيع إقامة مؤسسات فلسطينية عوضاً عن مساندة شخصيات معينة.

ـــ تشجيع ومساندة حركة إصلاح منظمة فتح.

ـــ إعادة الحكم الديمقراطي الفلسطيني استناداً إلى القانون الأساسي. «الدستور»

ثالثاً: نقلت عني صحيفة مصرية غراء بقدر معقول من الدقة ملاحظات أبديتها خلال ندوة بصالون السفارة السعودية تناولت مشكلة لبنان وموضوعات أخرى. ثم عادت الجريدة فعلقت على ما ذكرت مشيرة إلى أنني عندما كنت أتولى المسؤولية لم يسبق لي الإدلاء بتصريحات قوية، بل لم أدل بتصريحات بتاتاً. وهذا أمر ينفيه الرجوع إلى صحف تلك الفترة، ويذكرني بتعليق أحد القراء الذي سألني لماذا لم تتخذ تلك المواقف عندما كنت وزيراً، وكان ردي أن المسؤول يجب أن يتحدث ببعض التحفظ، ولكني أبداً لم أناقض في أي وقت ما أؤمن به إلا أن وسيلة التعبير وربما حدته هي التي اختلفت بطبيعة الحال. أما ما ذكرته الجريدة من أنني بررت أحياناً سياسات إسرائيل، فهو قول بعيد عن الحقيقة والواقع، والأغرب أن الصحيفة التي أحترمها أرجعت ما ادعته إلى ما سمته «اعتداء الفلسطينيين عليّ في المسجد الأقصى»، وهي واقعة سبق أن شرحت حقيقتها حتى مللت، وهذه الحقيقة هي أنه لم يحدث أي اعتداء مادي عليّ داخل المسجد الأقصى، بل إن هناك شخصين أو ثلاثة هتفوا ضدي دون محاولة للاعتداء، وأن ما أصابني بعد ذلك هو إعياء من تدافع من حاولوا إخراجي من المسجد خشية حدوث ما تصوروا أنه احتمال اعتداء، ومن كانوا يريدون مني أن استمر في أداء شعائر الصلاة.

التعليـقـــات

د. هاشم الفلالى، «المملكة العربية السعودية»، ٢٠٠٨/٠٥/٢٣

إن هناك الكثير من المهانة التى يتلقاها العرب من الغرب من امريكا، وان هناك ظلما ايضا واقعا على العرب من الغرب وامريكا، وكل هذا والعرب لا يحركون انفسهم ولا يقومون بدور ما من اجل ان يكون لهم وزنهم الاقليمي والدولي في تحقيق ما يسعون إليه.

دكتور أحمد إبراهيم عبدالسلام، «مصر»، ٢٠٠٨/٠٥/٢٣

الفرق بين الرئيس مبارك وبوش هو فرق بين طبيعة الشعب المصري الذي يرى الخطأ والصواب والشعب الأمريكي الذي جاء على سفن المغامرين وأباد الشعب الأصلي واعتبر ذلك تقدما وديمقراطية، فما الذي يمنع من تكرار تلك التجربة في فلسطين، حيث البحث عن كل يهودي في العالم ليقال له هذه أرضك ويجب عليك أن تطرد من يسكن فيها. ولكل رئيس أمريكي أخطاؤه السياسية والأخلاقية، فقط المهم ألا يخطئ في حق إسرائيل أو يضغط عليها، وبوش متمسك بكلمات المسيح أحبوا أعداءكم، لهذا فهو يحب إسرائيل التي عملت على الزج بالولايات المتحدة في كل الحروب.

محمد علي الكاظمي، «المملكة المتحدة»، ٢٠٠٨/٠٥/٢٣

هل فعلا اقوال الرئيس بوش الاخيره هي قمة الانحياز؟ ماذا نسمي اقواله وافعاله في تموز سنة ٢٠٠٦ ودعمه اللامحدود لاسرائيل واجهاضه مساعي وقف اطلاق النار، وتشجيعه الكيان الصهيوني تدمير لبنان وسحق شعبه بحجة الدفاع عن النفس. طبيعي جدا استاذ ماهر ان يقول بوش ما قاله وهو يرى ان المقاومه باتت وحيدة في الساحة ومستهدفة. وفي ظنه انه لا يغضب احدا. فمنذ الهجوم الاسرائيلي على لبنان وبعض الاقلام لم تتوقف عن تشويه المقاومة واتهامها بالعمالة، بل الردة من قبل بعض المشايخ. وما دام البعض من اخواننا العرب يعتقدون ان رد المقاومة البدائي في فلسطين، انتقاما لقتل الفلسطينيين وتهديم دورهم هو تهور، اما تدمير لبنان من قبل اسرائيل لاسر جنديين فقط هي قضية تتحمل المقاومة في لبنان تبعاتها، فان قراءات بوش في نظره غير مستفزة.

د.عوض النقر بابكر محمد، «المملكة العربية السعودية»، ٢٠٠٨/٠٥/٢٣

الرئيس جورج بوش في قمة الوعي بما يفعل وعليه تقديم كل ما يمكنه تقديمه الى اسرائيل في الفترة المتبقية له في الحكم فقد مهد له اللوبي القوي وصول حزبه لسدة الحكم بعده بدفع الديمقراطيين الى خوض تجربة لا مبرر لها في اختيار مرشحي الرئاسة مع ان الطريق الى البيت الابيض قد كان ممهدا لهم مع كم الفشل الذريع لادارة بوش في الداخل والخارج ولكن الرئيس

بوش قد قدم دون حياء ما لم يقدمه احد والجزاء من جنس العمل فمتى نفهم هذا ونكف عن خداع انفسنا!